ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

الاحتفالات الدينية في عهد السلطان أبي الحسن المريني من خلال كتاب "المسند الصحيح الحسن..." لمحمد بن مرزوق التلمساني

أ.د. عبد القادر فكاير

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة

الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

شهدت الاحتفالات الدينية في عهد الدولة المرينية تطورًا ملحوظًا، ومنها على الخصوص الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فأول مَنْ احتفل به السلطان يعقوب بن عبد الحق (١٢٨٦–١٣٠٨م). وقد أعطى السلطان أبو الحسن المريني (١٣٣١–١٣٥١م) عناية خاصة لهذه المناسبة، حيث جعل الدولة تتحمل نفقات الاحتفال بليلة المولد. ارتبط اسم ابن مرزوق بأبي الحسن حين استولى على تلمسان في سنة ١٣٣٧م، حيث كان عم ابن مرزوق (محمد الثالث) مقربًا من السلطان، فأدخل ابن مرزوق في حاشيته، ثم عينه خطيبًا بمسجد أبي مدين بالعباد بعد وفاة عمه. وقد لازم ابن مرزوق السلطان إلى غاية سنة ١٣٤٨م، حين استعاد الزيانيون ملكهم في تلمسان، وحظي عنده بمكانة خاصة ورافقه في بعض رحلاته ومعاركه. كتب ابن مرزوق كتاب "المسند الصحيح الحسن..." وانتهى من تأليفه سنة ١٣٧١م. سنعرض في هذا المقال مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي في عهد السلطان أبي الحسن المريني، فقد أفرد ابن مرزوق بابًا كاملاً في كتابه، يحتوي على عناية السلطان ورعايته لآل بيت رسول الله (ﷺ) والاحتفال بليلة مولده عليه السلام. فكان يقيم الاحتفال في حالة السفر أو في الإقامة. وبتحضير أنواع مختلفة من الطعام والحلويات والبخور ومظاهر الزينة. وكانت هذه المناسبة تلازمه حتى في حالة النفير للحرب مع النصارى. وإقامة المجلس يتم بعد صلاة المغرب، يستدعى إليه الناس حسب طبقاتهم ويتم إطعامهم. ثم يشرع في إقامة حفل ديني يبدأ بقراءة شيء من القرآن الكريم، ثم تُلقى القصائد الشعرية، والإكثار من ترديد الصلوات على النبي محمد (ﷺ). يستمر الاحتفال لوقت طويل من الليل، وعند طلوع الفجر يصل الناس صلاة الصبح، ثم يتناولون الطعام.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٣٠ نوفمبر ٢٠١٨

تاريخ قبـول النشـر: ٠٦ مارس ٢٠١٩

كلمات مفتاحية:

المولد النبوي؛ ابن مرزوق التلمساني؛ الدولة المرينية؛ الاحتفالات الدينية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0055855

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد القادر فكاير. "الاحتفالات الدينية في عهد السلطان أبي الحسن المريني من خلال كتاب "المسند الصحيح الحسن..." لمحمد بن مرزوق التلمساني".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد الخامس والأربعون؛ سبتمبر ٢٠١٩. ص١٧٥ – ١٨٤.

مُقدِّمَةُ

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الاحتفالات الدينية في عهد السلطان أبي الحسن المريني وذلك من خلال كتاب ألفه محمد بن مرزوق التلمساني، الذي كان أحد الرجال المقربين لدى السلطان، وعنوانه "المسند الصحيح الحسن". فقد شهدت الاحتفالات الدينية في عهد الدولة المرينية تطورًا ملحوظًا، ومنها على الخصوص الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فأول مَنْ احتفل به السلطان يعقوب بن عبد الحق (١٢٨٦-١٣٠٨م)، الذي أصدر مرسومًا جعل فيه المولد النبوي من الأعياد الرسمية. ومن السلاطين المرينيين الذين أعطوا عناية خاصة بهذه المناسبة، وغيرها من الاحتفالات

الدينية السلطان أبو الحسن المريني (١٣٣١-١٣٥١م)، الذي جعل الدولة تتحمل نفقات الاحتفال بليلة المولد في إطار المراسيم التي تنظمها الدولة. وقد اشتهر هذا السلطان بتوسعاته، فاستولى على تلمسان في سنة ١٣٣٧ بعد حصار دام سنتين، وقتل أبا تاشفين وعددًا من أفراد أسرته. وذكر أن تلمسان في عهده عرفت توسعًا في الاحتفال بمناسبة المولد النبوي الشريف.

ارتبط اسم ابن مرزوق بأبي الحسن منذ هذه الحادثة، حيث كان عم ابن مرزوق (محمد الثالث) مقربا من السلطان، فأدخل ابن مرزوق في حاشيته، ثم عينه خطيبًا في مسجد أبي مدين بالعباد بعد وفاة عمه. وقد لازم ابن مرزوق السلطان إلى غاية سنة ١٣٤٨، حين استعاد الزيانيون ملكهم في تلمسان، وحظي عنده بمكانة خاصة ورافقه في بعض رحلاته ومعاركه. كتب ابن مرزوق كتاب "المسند الصحيح الحسن..." بعد عشرين عامًا من وفاة السلطان المريني، وانتهى من تأليفه سنة ١٣٧١. لقد أورد الكاتب في مؤلفه مختلف مظاهر الحكم في عهد السلطان أبي الحسن، حيث تحدث عن السلطان وبلاطه ووزرائه وكتابه والأنظمة الإدارية التي سار عليها السلطان في دولته، كما تحدث فيه عن سلوك الناس بمختلف طبقاتهم. لقد أفرد ابن مرزوق بابًا كاملاً في كتابه، يحتوي على عناية السلطان ورعايته لآل بيت رسول الله (ﷺ) والقيام بحقه في ليلة مولده عليه السلام. فقد كان يقيم الاحتفال في حالة السفر، أو في الإقامة، ولا يشغله عن إقامته شاغل، لدرجة أنه كان يعاقب كل مَنْ يتخلف عن الاحتفال، في أي مكان كان به. والاستعداد لهذه المناسبة يكون بتحضير أنواع مختلفة من الطعام والحلويات والبخور ومظاهر الزينة. وكانت هذه المناسبة تلازمه حتى في حالة النفير للحرب مع النصارى، وفي حالة التعب. ومن مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة الدينية، إقامة المجلس بعد صلاة المغرب، حيث يستدعى الناس حسب طبقاتهم ويتم إطعامهم، بعدها توزع عليهم الفواكه المتوفرة في الموسم، ثم يؤتى بالحلويات التي تكون خاتمة المأدبة، وفي بعض الأحيان كان يتم الإطعام بعد صلاة العشاء. وبعد الانتهاء من الإطعام يسود السكون والهدوء التام في المجلس، ثم يشرع في إقامة حفل ديني يبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم، ثم تلقى على الحاضرين في المجلس القصائد الشعرية من المدائح التي تدخل السرور في نفوس الأفراد، كما كان يتم الإكثار من ترديد الصلوات على النبي محمد(ﷺ).

وقد وصف ابن مرزوق هذه الحالة بأنها "من أعاجيب ما يرى في بلاد المغرب". ومن مظاهر هذا الاحتفال استعمال البخور وإشعال الشموع بكثرة. يستمر الاحتفال لوقت طويل من الليل، وعند طلوع الفجر يصل الناس صلاة الصبح، ثم يتناولون الطعام الخاص بهذه الفترة. تتكرر مظاهر هذه الاحتفالات في اليوم السابع، أي يوم ١٩ من شهر ربيع الأول، وفي صبيحة هذا اليوم يعقد مجلس يحضره الفقهاء، والأئمة، والخطباء، والقضاة وتسلم لكل واحد منهم كسوة تخصه. وذكر ابن مرزوق أن هذه العادة ظلت مستمرة في عهد السلطان أبي عنان المريني. وضعت في هذا البحث ملخصًا عن حياة المؤلف، ثم عرفت بشكل مختصر بمحتوى الكتاب، الذي يعرض فيه صاحبه لمختلف مظاهر حياة وسيرة السلطان أبي الحسن المريني. ثم تطرقت إلى مختصر لحياة السلطان المذكور، الذي عاش في القرن (الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي). من أهم الاحتفالات الدينية التي وردت في كتاب " المسند" هي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وكذلك في الليلة السابعة. وقد أشار المؤلف إلى خلفية هذا الاحتفال. ولهذا فإني تعرضت إلى الاحتفالات الدينية في عهد الدولة المرينية قبل السلطان المذكور، ثم تعرضت إلى مختلف مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في عهد السلطان أبي الحسن، الذي أضاف إلى من سبقوه بعض المظاهر تعظيما لهذه المناسبة التي كانت تقام في بلاد المغرب.

أولاً: ابن مرزوق كاتب سيرة أبي الحسن المريني

١/١-نبذة عن حياة ابن مرزوق التلمساني

ينتمي ابن مرزوق إلى عائلة كبيرة أصلها من القيروان، انتقلت إلى تلمسان في أواخر القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).[١] هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، يعرف بالخطيب[٢]. ولد في تلمسان سنة ١٣١١م، وتوفي في القاهرة ١٣٧٩م. رافق والده (أحمد بن مرزوق) في رحلته إلى الحج، وقد زار كبرى مدن المشرق، منها المدينة المنورة ومكة المكرمة، القدس، الإسكندرية والقاهرة. استفاد من رحلته بلقاء العلماء، وفي مصر برزت صفة ابن مرزوق في الخطابة، ونال إعجاب الشيخ المرشدي، فخطب الجمعة بجامع الإسكندرية وهو صبي، وذلك

في سنة ١٣٣٠م. وقد عرف بلقب الخطيب، وتميز بالفصاحة، فقد ذكر أنه خطب على «ثمانية وأربعين منبرًا في الإسلام شرقًا وغربًا وأندلسًا»[٣]، عاد إلى تلمسان في أفريل من سنة ١٣٣٧، وبعدما استولى أبو الحسن المريني على تلمسان، كان عمه محمد بن مرزوق مقربًا من السلطان المريني، فأدخله هذا الأخير في حاشيته وعينه خطيبًا لجامع العباد.

شارك مع السلطان أبي الحسن في معركة طريف التي يطلق عليها الإسبان اسم (Batalla del Salado)، وقد انهزم الجيش الإسلامي أمام الجيش المسيحي في ٦ أكتوبر ١٣٤٠[٤]، وقد أسر فيها أحد أبناء أبا الحسن. ومن أجل افتداء عمر تاشفين بعث السلطان ابن مرزوق إلى قشتالة لإبرام معاهدة صلح. ورافق ابن مرزوق الحملة المرينية على تونس في عام ١٣٤٧م، وفي السنة الموالية (١٣٤٨م) هزم جيش أبي الحسن في القيروان، وكان لهذه الهزيمة عدة تغيرات وقعت للسلطان وابن مرزوق تمثلت فيما يلي:

- حدوث فوضى في فاس على شكل ثورة سمحت لأبي عنان تولي الملك في جويلية ١٣٤٨.
- عودة أسرة بني زيان إلى الحكم في تلمسان في سبتمبر ١٣٤٨م، بتولي أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن.
- تعرض منزل ابن مرزوق في تلمسان إلى الاقتحام من قبل خصومه.

عاد ابن مرزوق إلى فاس ثم إلى تلمسان واجتمع بالملك الزياني سعيد عثمان بن عبد الرحمن، ثم سجن ونفي إلى الأندلس سنة ١٣٥١.

وفي الأندلس وطد علاقاته مع بعض العلماء ورجال السياسة، مثل ابن الخطيب صاحب كتاب "الإحاطة". وعينه السلطان النصري خطيبًا للحضرة ومدرسًا في المدرسة البلاطي في مارس ١٣٥٣. وفي نفس السنة التحق بالسلطان أبو عنان بفاس، وفي سنة ١٣٥٧ أرسله سفيرًا إلى تونس ليخطب إحدى بنات السلطان أبي يحيى الحفصي، لكنه فشل في مهمته، فأدخل السجن. وقبيل مقتل أبي عنان أطلق سراحه في ديسمبر ١٣٣٨. ولما تولى سالم بن أبي الحسن العرش في جويلية ١٣٥٩م التحق به كأحد المقربين منه. ولما اغتيل هذا السلطان في ٢٣ سبتمبر ١٣٦١م دخل السجن لمدة سنتين. ورحل إلى تونس، وهناك عينه السلطان أبو إسحاق إبراهيم خطيبًا لمسجد الموحدين ومدرسًا في مدرسة الشماعين. يقول ابن مرزوق: «إني وقد وصلت إلى تونس المحروسة في شهر رمضان من سنة خمس وستين، فلقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق ما يعهده أمثالي، وولية خطابة جامع ملكها، وتدريس أم المدارس فيها، وهي المعروفة بمدرسة الشماعين»[٥]. وإثر موت السلطان الحفصي سنة ١٣٦٦، واغتصاب الملك من ابنه الصغير أبي البقاء من طرف ابن عمه أبو العباس سنة ١٣٧٠م، قرر ابن مرزوق الرحيل عن تونس، وتوجه إلى الإسكندرية سنة ١٣٧٢م ثم إلى القاهرة، وهناك عينه الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن حسين قاضيًا وخطيبًا ومدرسًا في مساجد صلاح الدين الثلاثة: الشخنية والصرغتمشية والقمحية. وفي جويلية من سنة ١٣٧٩ توفي ابن مرزوق في القاهرة ودفن بها[٦].

لابن مرزوق مؤلفات عديدة، نذكر منها كتاب "جنى الجنتين في فضل الليلتين" وهو كتاب يتعلق بليلتي المولد وليلة القدر. وله أيضا قصيدة تتألف من ١١٧ بيتًا نظمها بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي في البلاط الغرناطي في سنة ١٣٦١م، نذكر منها البيتين التاليين:

أيا نسيم السحر بالله بلغ خبري
إن أنت يوما بالحمى جررت فضل المئزر

٢/١-التعريف بكتاب "المسند الصحيح الحسن"

العنوان الكامل للكتاب هو: "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن"، يؤرخ لمختلف مظاهر الحكم والحياة في داخل بلاط السلطان أبي الحسن المريني، فكان شاهد عيان للسلطان ومعايشًا له. وهذا جاء نتيجة لمرافقة ابن مرزوق لأبي الحسن في حله وترحاله، حيث كان «مفضي سره، وإمام جمعته، وخطيب منبره، وأمين رسالته»[٧]. فكان على علم بكل أمور القصر، وعلى اطلاع على مراسلات البلاط، وما كان يخطه بيده في مسودته. وبعد وفاة السلطان أبي الحسن المريني بعشرين سنة ألف هذا الكتاب وفاء لصحبته ومعاشرته له، وهو مقيم عند ملوك بني حفص، التي كانت طيبة. فقد أورد ذلك في قوله: «وخبرت في سيره الجميلة، وخصاله الكريمة، وشاهدت من شيمه العظيمة ما أعتقد أني اختصصت في عصره بمعرفته، وتميزت بتحصيل طرقه ومحجته»[٨]. وكان الغرض من هذا التصنيف التقرب من السلطة المرينية في فاس، أملا في أن يسترجع مكانته في البلاط، وكذلك ممتلكاته. إن المتأمل في سطور هذا الكتاب، يلاحظ أنه صنف في مدح السلطان، حيث ركز فيه على مختلف نواحي شخصيته، ابتداءً من

نسبه وبعض خصاله المحمودة مثل كرمه وحلمه وصبره وعفوه، وانتهاء ببعض إنجازاته العمرانية مثل بنائه للجوامع والمساجد والصوامع والزاوايا والمدارس، وإنشائه للجسور والقناطر والطرقات. كما اهتم المؤلف بكل ما يتعلق بالسلطان في حله وترحاله. وتعرض كذلك إلى مختلف ظروف الحياة للناس وسلوكهم بمختلف درجاتهم الاجتماعية. انتهى ابن مرزوق من تأليف كتابه في شهر رمضان ٧٧٢هـ/ مارس ١٣٧١. يحتوي "المسند الصحيح" على خمسة وخمسون بابًا في أكثر من ٥٠٠ صفحة. قامت بتحقيقه الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا من جامعة سرقسطة بإسبانيا، وقدم له محمود بوعياد.

١/٣-التعريف بالسلطان أبي الحسن المريني

هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا الحسن، كان يلقب بالمنصور بالله، كما كان يعرف بالأكحل، لأن أمه كانت حبشية[٩]، فكان لونه أسمرًا. ولد في صفر (٦٩٧هـ/١٢٩٧)، تولى الحكم بعد أبيه في ٢٥ ذي القعدة سنة (٧٣١هـ/١٣٣١م). تميز عهده بأحداث سياسية وعسكرية متميزة. فقد سعى إلى دولة توحيد بلاد المغرب في دولة تحت سلطته، فدخلت جيوشه في حروب مع الدولة الزيانية والدولة الحفصية، كما خاض حروبًا ضد النصارى في الأندلس.

لم تمض على بداية حكمه غير عامين حتى خاض غمار الحرب في الأندلس منجدًا صرخات ملك بني الأحمر ضد تهديدات الممالك المسيحية في الأندلس. فقد أمد سلطان بني الأحمر محمد بن إسماعيل بن الأحمر بخمسين ألف جندي، كانوا تحت قيادة ابنه أبي مالك، فحاصر جبل طارق - الذي سبق وأن احتله القشتاليون سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)- مع جيش بني الأحمر وتمكن من افتكاكه من أيدي النصارى في سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٣)[١٠]، وبعد بضعة سنوات تحرك السلطان أبو الحسن إلى تلمسان وحاصرها، وإلى الغرب منها وبنا مدينة المنصورة، وقد أبدى السلطان الزياني أبو تاشفين ومن معه مقاومة شديدة بباب القصر حتى استشهدوا، وتمكن أبو الحسن من دخول تلمسان في أواخر شهر رمضان ٧٣٧هـ/ ٢ مايو ١٣٣٧م. وقد وصف التنسي هذه الحادثة بقوله: «فما أفظعه من حادث، وما أشنعه من خطب كارث جر على الدولة الزيانية ذيل العفا، وكدر على بيتها الحسنى ما كان صفا»[١١]. ولكي يستقر حكمه في تلمسان، أحسن إلى بني عبد الواد على مراتبهم، فقد «استخدم قبيل عبد الواد، فلم يشعثهم، وحفظ عليهم رتبهم، وأبقى لشعوبهم وقبائلهم المراسيم التي ألفوها»[١٢].

وجه نشاطه الجهادي إلى الأندلس من جديد، بعد أن قتل ابنه أبا مالك بالأندلس من طرف القشتاليين. فقد ورد عن أحد الكتابات الإسبانية الحديثة أن قواته كانت موزعة بين مدينتي الجزيرة الخضراء ورندة، ودعى نفسه ملكًا، ثم راح يتدخل في أراضي المسيحيين. ورغم تعداد قواته، تمكنت القوات المسيحية من الانتصار عليه وقتله قرب قلعة لوس غازولس (Alcala de los Gazules)، وذلك في أكتوبر ١٣٣٩[١٣]. واصل أبو الحسن عمل ابنه، فأعد أسطولاً شاركت فيه قطع من البحرية الحفصية، وتجمعت في سبتة نحو مائة قطعة تحت قيادة محمد بن علي العزفي، صاحب سبتة[١٤]. ولما وصلت أخباره إلى النصارى، استعدوا للدفاع وأخرج ألفونسو الحادي عشر أسطوله إلى مياه جبل طارق ليمنع السفن المغربية من العبور[١٥]. وفي مضيق جبل طارق وقعت المعركة، انتهت بانهزام الأسطول المسيحي، قتل فيها قائده، كان ذلك في ٦ شوال ٧٤٠هـ/ ٥ مايو ١٣٤٠م. وتمكن السلطان من العبور إلى طريف على رأس جيش قوامه ٦٠ ألف جندي وعسكر مع جنوده إلى جانب السلطان الأندلسي أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر[١٦]. وتقدمت جيوش النصارى المتكونة من القشتاليين والأراغونيين والبرتغاليين، وحاصرت المسلمين، وتسربت فرقة عسكرية إلى داخل مدينة طريف ليلاً، وأثخنوا في جنود المسلمين قتلا، كما قتلوا النساء والصبيان، واعتقل تاشفين ابن السلطان المريني. كان ذلك في ٧جمادي الآخرة ٧٤١هـ/ ٢٨ نوفمبر ١٣٤٠م، واضطر السلطان إلى الخروج إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى جبل طارق، ومنها أبحر إلى المغرب. ويطلق الإسبان على هذه المعركة اسم (Batalla del Salado). انتهت هذه المعركة باحتلال طريف والجزيرة الخضراء، وحاول النصارى الاستيلاء على جبل طارق، لكن مقاومة المسلمين حالت دون ذلك[١٧].

عاد أبو الحسن المريني إلى حركة التوسع في الشمال الإفريقي بعد هزيمته أمام النصارى في الأندلس، فتمكن من بسط سلطته على تونس في عام (٧٤٨هـ/١٣٤٧م). غير أن بني سليم وحلفائهم من القبائل في الجنوب التونسي ثاروا عليه، واستطاعوا أن يهزموه على مقربة من القيروان وذلك في ٢ محرم ٧٤٩هـ/ ٧ أفريل ١٣٤٨م[١٨]. وفي هذه الفترة بويع لابنه أبي عنان، بعد انتشار خبر موت والده. فخرج من

المنصورة إلى فاس، غير أن مؤيديه خسروا المعركة أمام جيش أبي عنان. وإثر هذه الهزيمة استرجع بنو عبد الواد الحكم في تلمسان، وبويع الأمير أبا سعيد في ذات السنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م). توجه أبو الحسن إلى جبل هنتاتة فأقام هناك بين قبائل المنطقة زمنا قليلا. وتوفي بجبل هنتاتة في ٢٧ ربيع الأول سنة ٧٥٢هـ وعمره ٦٠ سنة، ودفن بشالة[١٩]. دامت فترة حكمه ٢٠ سنة وشهرين[٢٠].

ثانيًا: الاحتفالات الدينية ومكانة المولد النبوي الشريف في عهد الدولة المرينية

١/٢-الاحتفالات الدينية في عهد الدولة المرينية

من المعروف تاريخيًا أن الفاطميين في مصر كانوا يحتفلون بالمولد النبوي الشريف. أما في مكة المكرمة فكانت لهذه المناسبة مكانة خاصة، فقد أورد ابن جبير في رحلته إلى مكة المكرمة في سنة (٥٧٩هـ/١١٨٢م)، أن المكان الذي ولد فيه النبي عليه السلام بمكة المكرمة، والذي كان قد بني عليه مسجدًا، كان يفتح «هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافة متبركين به في شهر ربيع الأول، ويوم الإثنين منه، لأنه كان شهر مولد النبي صلي الله عليه وسلم. وفي اليوم المذكور... تفتح المواضع المقدسة.... وهو يوم مشهود بمكة دائمًا»[٢١]. وكان حاكم مدينة أربل (أو أربيل)[٢٢] مظفر الدين كوكبري[٢٣] مولعًا بالاحتفال بالمولد النبوي، حتى أن هناك مَنْ يعتبره أول من احتفل بهذه المناسبة. أما عن تأثير انتقال هذا الاحتفال من المشرق إلى المغرب، فقد ورد أن العالم الأندلسي أبا الخطاب عمر بن حسن الكلبي ابن دحية، الذي يُعَدّ أول مَنْ صنف كتابًا عن المولد النبوي الشريف عنوانه "التنوير في مولد السراج المنير"، خلال رحلته إلى المشرق، وزيارته لأربل في عام (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، ومشاهدة حاكمها الأمير مصطفى الدين بن زين الدين يحتفل بالمولد[٢٤]. وقرأه عليه هو بنفسه. وكان الحافظ أبو الخطاب قد ختم هذا الكتاب بقصيدة طويلة مطلعها:

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما وهموا[٢٥]

أما في بلاد المغرب، والأندلس فكان أول من تنبه إلى الاحتفال به، بنو العزفي أصحاب مدينة سبتة. في أواخر القرن (السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي)، على نحو ما ظهر تقريبا في نفس الفترة، بمدينة "أربل". وكان أبو العباس أحمد بن القاضي، محمد بن أحمد اللخمي العزفي السبتي (ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م) هو الذي دعا إلى الاحتفال بالمولد النبوي في مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، وألف كتابًا في الغرض، عنوانه "الدر المنظم في مولد النبي المعظم". فذكر فيه الحافز على الاحتفال بالمولد، ويتمثل في إشغال المسلمين في الأندلس وسبتة عن متابعة المسيحيين في أعيادهم مثل (عيد ميلاد المسيح عيسى) عليه السلام[٢٦]. أما في عهد الدولة المرينية فإن الاحتفال بالمولد النبوي قد اتخذ طابعًا رسميًا، منذ عهد السلطان يعقوب عبد الحق المريني (١٢٥٩- ١٢٨٦م)، الذي أصدر مرسومًا نص على جعل ذكرى المولد النبوي عيدا رسميا في جميع أنحاء البلاد، وذلك في سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، فأصبح هذا اليوم، يوم عطلة يتوقف فيه العمل، حتى يسمح لكل الناس المشاركة في هذه التظاهرة الدينية. وهكذا صار يوم ١٢ ربيع الأول عيدًا رسميًا. وفيما بعد أصبحت هذه المناسبة موسمًا أدبيًا، حيث كانت تظهر مواهب الشعراء لبعض المشاعر الدينية، وإظهار المدائح الدينية، والتي تعرف بالمولدات.

٢/٢-عناية السلطان أبي الحسن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

إن المطالع لكتاب "المسند" لابن مرزق الخطيب سيقف على مظاهر للعادة المتبعة في المغرب بمناسبة الاحتفال بليلة المولد النبوي والليلة السابعة من مولده كذلك. فقد خصص لهذه المناسبة فصلاً كاملاً. وهو الفصل السادس وعنوانه: "في عادته الجارية ليلة مولده عليه السلام وسابعه" (صص.١٥٢-١٥٤)، الذي يقع ضمن الباب السادس وعنوانه: "في رعايته آل البيت رسول الله(ﷺ) وحفظ هذا المنصب الشريف والقيام بحقه في ليلة مولده عليه السلام". كما ألف ابن مرزوق كتابًا خاصًا لهاتين الليلتين عنوانه: "جنى الجنتين في فضل الليلتين". وكان شاعر هذه الاحتفالات عام (٧٦٣هـ/١٣٦١م)، وهو في غرناطة. «هذه مكرمة خص الله بها هذه المملكة الشامخة والسلطة المرينية. وان حكاها غيرهم، فما أشبه ولا قرب، أثار الفقيه العزفي رحمه الله ... ونبه على الخير فمضوا عليه واعتادوه. وزاد فيها المولى رضي الله عنه من المحاسن ما صيرها مثلاً وألبسها من سيره حللا» [٢٧]. بهذه العبارات والمعاني المتعلقة بليلة المولد النبوي الشريف افتتح ابن مرزوق حديثة عن ممارسة أبي الحسن لهذه المناسبة بالإشارة إلى من سبقوه من الحكام دون ذكر أسمائهم، في الاحتفال

بالمولد النبوي الشريف، وذلك بالرجوع إلى العصر الموحدي بذكر أحد فقهاء هذا العصر وهو "الفقيه العزفي"[٢٨]، الذي ندب الاحتفال بهذه المناسبة فقال: «هذه مكرمة خص الله بها هذه المملكة الشامخة والسلطة المرينية وإن حكاها غيرهم، فما أشبه ولا أقرب. أثار الفقيه العزفي رحمه الله صيدها فصادوه، ونبه على الخير فمضوا عليه واعتادوه»[٢٩]. إن هذا التذكير بماضي الاحتفال بالمولد النبوي في المنطقة يبين مدى اطلاع الكاتب على خلفيات الاحتفال بهذه المناسبة في المغرب. ثم ذكر أن السلطان أبا الحسن قد أضاف إليها من مظاهر الاحتفال حتى «صيرها مثلاً، وألبسها من سيره الجميلة حللا»[٣٠]. ثم ذكر أنه لازم حضور وملازمة السلطان أبي الحسن المريني ابتداء من سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٨م) إلى غاية رحيله إلى تونس في سنة ١٣٦١م.

وذكر ابن مرزوق أن السلطان أبا الحسن المريني كان ينظم ويشرف على الاحتفال بالمولد النبوي في كل ظروف الحياة التي يعيشها سواء في حالة الإقامة أو في حالة السفر، ولا يمنعه مانع في ممارستها، أو أي انشغال آخر. حتى في حالة المرابطة والتأهب للحرب مع الأعداء، وما يصاحب ذلك الموقف من حالة التعب والقلق. يوحي ذلك من دون شك مدى قناعة السلطان بمكانة هذه المناسبة في نفسيته، والعمل على ازدياد ترسيخها في ذهنية المجتمع، حتى تزيد في تماسكه، وهذا له دلالة في استمرار الدولة وبقائها قوية. ولهذا فإنه حافظ على الاحتفال بهذه المناسبة في كل الظروف. فقد أورد ابن مرزوق وهو يتحدث عن حلول ليلة المولد النبوي، وأبو الحسن المريني في سبتة على نية العبور إلى الأندلس من أجل الجهاد، فقال في هذا المقام: «كنا بسبتة مقيمين مقابلين لنزول النصارى على الخضراء، وكان رضي الله عنه في تعب وملازمة مقاومة لجيوش المسلمين من أهل العدوتين ...فحضرت ليلة المولد، فلم يصل أهل البلاد قاطبة على جري العادة، فإنه حيث كان، يصل الشرفاء والقضاة والفقهاء والخطباء من أهل البلاد لشهودها»[٣١]. فقد أشرنا سابقا عندما تعرضنا إلى التعريف بحياة السلطان أبي الحسن، فذكرنا أنه أعد جيشا في سبتة، ورغم محاولة ألفوسو الحادي عشر(Alfonso XI) (١٣١٢- ١٣٥٠م) ملك قشتالة وليون الوقوف في وجه الجيش الإسلامي، إلا أن المعركة وقعت بين الطرفين في مضيق جبل طارق وانتهت بانهزام البحرية المسيحية، وعبور المسلمين إلى طريف.

يواصل الكاتب ذكر موقف السلطان من الذين تخلفوا عن الحضور إلى سبتة للاشتراك في الاحتفال بهذه المناسبة. فقد غاب عنها شرائح متنوعة من المجتمع، وخاصة الفئة المتنورة من الشرفاء والعلماء. فذكر ابن مرزوق أن السلطان سأل خطيب فاس الشيخ أبو الفضل المزدعي الذي التحق به ليلة المولد، عن عدم حضور الشرفاء والقضاة والفقهاء والخطباء من أهل البلاد. وقد أصابه تغير في مزاجه عند سماعه بتخلفهم، ظنا منهم على ما يبدو أن السلطان لا يقوم بإحياء هذه المناسبة، وهو في حالة الانشغال بمهمة الجهاد. كما سأل السلطان قائد (المزمزمين)[٣٢] المدعو "ابن طراحة"، فأجبه بنفس الرد. يبدو أن هذا الغياب الجماعي للشرفاء والقضاة والفقهاء والخطباء والمزمزمين، راجع لعدم تعودهم على إحياء السلطان لهذه المناسبة في حالة النفير للحرب.

كان موقف السلطان أن أصدر قراره بمنع تقديم المكافآت المالية لكل من تأخر. وبين أبو الحسن أن الهدف من صدور هذا الموقف السلطاني هو تذكير الذين غابوا عن الحضور أنهم أخطأوا عندما ظنوا أن السلطان يتخلى عن الاحتفال بليلة المولد وهو في حالة الجهاد. كما أمر بمعاقبة الذين لم يحضروا من المزمزمين، لكنه لم يذكر طبيعة العقاب الذي سلطه عليهم. ويتضح ذلك في قول الكاتب: «ووصل من أهل فاس خطيبها كان أبو الفضل المزدغي خاصة، فلما حضر، وكان وصوله ليلة المولد، سأله أبو الحسن، فاعتل لما سمعوا اشتغال السلطان بمهم الجهاد، فتخلفوا، فتغير لذلك رضي الله عنه، وسأل زعيم المزمزمين، وهو ابن الطراحة، فأخبره بمثل ذلك عن بقية أهل صنفه، فصدر أمره بإيقاف جرايات من لم يصل، تنبيها لهم على أنهم أخطأوا، إذ ظنوا به الاشتغال عن هذا المهم. وأمر بعقوبة المتخلفين المزمزمين»[٣٣].

من الشخصيات التي مسها عقاب السلطان الشيخ أبي عبد الله بن عبد الرزاق[٣٤]، فقد ذكر ابن مرزوق أنه لقيه خارج مدينة فاس عقب الحادثة المذكورة، وسأله عن أحواله، فرد عليه الشيخ أنه ومن معه عوقبوا بالضرب بالسياط، وذلك مؤكد في قوله: «فرحم الله شيخنا أبا عبد الله بن عبد الرزاق قاضي الجماعة، وخطيب الحضرة قبلي، فكان نادرة وقته. لقيته بخارج فاس، وقد خرج رضي الله عنه للقائي، فقلت له: " كيف حالك؟". فقال: "بخير أكلنا سياطًا في ظهور

المسمعين، والحمد لله رب العالمين»[٣٥]. وختم الكاتب تعليقه على هذه الحادثة بقوله: «وكانوا قد أدبوا، فكتبت بها لمولانا المرحوم، فاستضحك منها زمانا، وارتفع العتب (أو العجب) بسبب ذلك عن الجميع».[٣٦]

٣/٢-مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

يتطرق الكاتب إثر ذلك إلى مختلف مظاهر الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف، فبدأ بذكر الاستعدادات لهذه الليلة، وأهم ما كان يستعد به، تحضير مختلف أنواع الأطعمة والحلويات، وأنواع الطيب والبخور. كما كانت العناية كبيرة بمظاهر الزينة في المجالس. وكان الاحتفال بليلة المولد تبدأ بعد صلاة المغرب، التي تتبع بركعات من صلاة النافلة.

بعد ذكره لمظاهر الاستعدادات للحفل، تطرق الكاتب إلى كيفية إشراف السلطان حسن المريني على الحفل فذكر أنه بعد صلاة المغرب صلى السلطان ركعات السنة، ثم التحق بالمجلس الخاص به، ويدعو الناس «فإذا صلينا المغرب، ركع ركعات، ثم قصد مجلسه الحافل، فيستدعي الناس على ترتيبهم، ويأمر بأخذ المجالس على طبقاتهم على أحسن وأجمل شارة»[٣٧]. وعندما يتم الانتهاء من تشكيل هذه المجالس «دعي بالطعام، فاشتغل به على ترتيب ونظام، وهو مباشر للأقربين منه، وربما يجلس الجالس بين يديه على أطراف ثيابه، والمطرح الذي بين يديه»[٣٨]. وبعد الانتهاء من تناول الطعام تقدم للحاضرين الفواكه الموجودة حسب الموسم الذي تنضج فيه، ثم تقدم لهم الفواكه الجافة، وبعد ذلك يقدم الكعك والحلويات، ثم يؤتى لهم «بملاح السكر»[٣٩]. وأوضح ابن مرزوق أن هذا الترتيب المذكور في تقديم الأطعمة قد يختلف من فترة إلى أخرى، ثم قال: «وتارة يقع الإطعام بعد العشاء الآخرة»[٤٠].

يواصل ابن مرزوق وصفه الاحتفال بليلة المولد النبوي، فيذكر أنه بعد الانتهاء من تناول الطعام تنتهي الحركة، ويسود الهدوء والسكون، «فلا تكاد تسمع صوتًا إلا همسًا»[٤١]، بعدها يقوم قارئ للقرآن ماهر سماه «قارئ العشر»[٤٢]، وهو المتمكن من قراءة القرآن على قراءاته العشرة. فيقرأ شيئًا من القرآن الكريم، ويأتي بعده زعيم المسمعين، الذي يتولى إلقاء قصائد المدائح «والتهاني فتقرأ على نظام محفوظ وترتيب محوط على قدر المنازل والرتب والمناصب، فتطير القلوب فرحًا، وتشرد المعجزات والصلوات على سيدنا محمد(ﷺ)»[٤٣]. وأضاف الكاتب معلقًا على هذه الاحتفالات بأنها مظاهر متميزة تدخل العجب في نفوس الناس، وهي لا زالت مستمرة، ويتضح ذلك في قوله: «وهي من أعاجيب ما يرى في بلاد المغرب وبركاتها على هذا القبيل ظاهرة، والخيرات، لا تزال تسبب الاعتناء بها عليهم متظافرة متكاثرة»[٤٤]. وتتميز هذه الاحتفالات بجمع كميات معتبرة من البخور والشموع التي يتم توزيعها على الفقراء والمسافرين كل حسب ما يستحق «ويجمع لهم من ذلك العدد الكثير»[٤٥]. وحسب الكاتب فإن الاحتفالات تستمر إلى غاية صلاة الصبح، وبعد أداء صلاة الصبح، يتناول الناس الطعام الخاص بهذه الفترة من اليوم. حيث ذكر أنه: «إذا قضيت صلاة الصبح جلس الناس للطعام، فيؤتى بأنواع الطعام المختص بذلك»[٤٦].

وتحدث الكاتب بعد ذلك عن احتفالات الليلة السابعة بعد ليلة المولد، فذكر أنه تجري فيها نفس المراسيم التي تمت في الليلة الأولى، وفي صبيحة اليوم السابع يجتمع الشرفاء والكبار من الفقهاء والأئمة والخطباء والقضاة، ويعطى كل واحد منهم كسوة تخصه، وإحسانا لبعضهم. وفي الأخير ذكر الكاتب أن هذه الاحتفالات ظلت مستمرة بعد السلطان أبا الحسن، فقد أجراها السلطان أبو عنان المريني، وذكر عنه أنه زاد في محاسنها. كما أحياها أبو سالم وهو أخ أبو عنان، الذي حكم ما بين (١٣٥٨-١٣٦١م)، وقد «كساها جمالاً» حسب تعبير ابن مرزوق. وختم الكاتب حديثه عن الاحتفال بليلة المولد النبوي بالعبارات التالية: «وزادها أبهة وجلالاً مولانا أبو فارس رضي الله عنه على ما أخبرني به من شهدها، وهذه النبذة في هذا الفصل كافية»[٤٧].

إلى جانب ما ذكرناه، وصف لنا ابن مرزوق اهتمام أبي الحسن بدراسة الحديث وكتب السيرة وتقريبه للعلماء ومحاورتهم ومشاركتهم في المجالس العلمية بقوله: «وكان أبر الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم استخلصهم لنفسه، وجمع من سائر بلاده في حضرته إذا سمع بمَنْ له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته، وجعله من خواص أهل مجلسه وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرا، فاجتمع بحضرته أعلام، ثم ضم لهم من كان بتلمسان وأحوازها حين استيلائه عليها ثم استمر هذا العمل في دخوله بلاد إفريقية»[٤٨]. هذه الصفة قد التزم بها سلاطين الممالك المغربية الأخرى، فقد صور لنا الرحالة ابن بطوطة هذه المعاملة خلال رحلته إلى تونس وهو في طريق عودته إلى المغرب، فذكر أنه

زار السلطان في المشور وسأله عن أخبار الحجاز ومصر[٤٩]. ثم أكد أنه كان في مجلسه عدد من الفقهاء والقضاة الإمام أبو عبد الله السطي، والإمام أبو عبد الله محمد بن الصباغ، وأبو علي بن عبد الرفيع، وأبو عبد الله بن هارون. ثم ذكر أن السلطان استدعاه، ومعه جملة من الشيوخ[٥٠].

٤/٢-أبعاد الاحتفالات وسياقها السياسي والثقافي والاجتماعي

إن احتفالات الدولة المرينية والسلطان أبا الحسن المريني بالمولد النبوي الشريف حسب ما ذكره ابن مرزوق، نابع من اعتبار هذه المناسبة فرصة لتذكير الناس بشخصية الرسول (ﷺ) وسيرته وأخلاقه وسننه، لها أبعاد متنوعة نذكرها فيما يلي:

- انتقال الاحتفال بالمولد النبوي من المشرق إلى البلاد المغرب يبين مدى تأثر بلاد المغرب بالشرق، خاصة فيما هو ديني، وأن المغرب الأقصى أول مَنْ انتقل إليها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ومنه انتشرت في ممالك بلاد المغرب الأخرى الأوسط والأدنى.
- عدم الاكتفاء بمظاهر الاحتفال التي كان يمارسها الحكام السابقون، بل كان الحكام يجتهدون في تعزيزها بمظاهر جديدة. وهذا يتجلى فيما قام به السلطان أبو الحسن المريني، الذي جعل الدولة تتحمل تكاليف الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وإحيائها في كل الظروف، في الحل والترحال، وفي حالة السلم والحرب.
- إشراف السلطان حسن المريني بنفسه على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بحضور مختلف الطبقات الاجتماعية في مجالس تتسم بمظاهر الزينة، يوحى بمدى قرب السلطة الحاكمة من مختلف فئات الرعية، ويبين كذلك مكانة هذه المناسبة في نفوس الحكام ودفع السكان على التمسك بها.
- الصرامة في إشراك رجال الدول والعامة في الاحتفال، ومعاقبة السلطان للمتخلفين عن الاحتفال. وهذا يتجلى في انزعاجه حين سماعه بتخلف الشرفاء والقضاة والفقهاء والخطباء، وكذلك فرقة المنشدين (المزمزمين) عن حضور الاحتفال. وكان جزاء تخلفهم منع السلطان تقديم المكافآت المالية لهم، وقد مس العقاب حتى قاضي فاس الشيخ أبي عبد الله بن عبد الرزاق، حيث قال: «بخير أكلنا سياطًا في ظهور المسمعين، والحمد لله رب العالمين»[٥١].
- البعد التضامني والاجتماعي وإدخال السرور في نفوس الناس، من خلال تقديم أنواع الطعام للحاضرين. في إطار الاستعداد للاحتفال بتحضير أنواع الأطعمة والحلويات، وتقديمها ليلة الاحتفال بعد صلاة المغرب للناس في مجالسهم حسب طبقاتهم، ثم تقدم لهم الفواكه الموسمية والفواكه الجافة والحلويات، وتوزع البخور والشموع على الفقراء والمسافرين، التي تعد كذكرى عن هذه المناسبة.
- البعد الديني من خلال إقامة الصلوات، وقراءة القرآن الكريم، وإلقاء قصائد الشعر والمدائح. حيث أصبحت هذه المناسبة موسمًا أدبيًا، يلقي فيها الشعراء قصائدهم في مدح الرسول (ﷺ)، وأداء المدائح الدينية، والتي تعرف بالمولدات. ومن أعظم المقاصد من إحياء هذه الذكرى هو تذكير الناس بخصوصيات النبي محمد (ﷺ) الذي أخرج قومه الظلمات إلى النور.
- الاهتمام بالاحتفال باليوم السابع للمولد بنفس الطريقة التي يجري بها في اليوم الأول يوحي بمكانة هذه المناسبة لدى المسلمين.

خَاتِمَةٌ

يمكن الآن استنتاج ما يلي:

- إن ظهور الاحتفال بالمولد النبوي في سبتة بالمغرب جاء نتيجة للاحتكاك مع النصارى في هذه المدينة، وخشية على المسلمين أن يشاركوا النصارى بمولد المسيح، ويقعوا في أمر قد يزعج عقيدتهم.
- وأن ظاهرة الاحتفالات الدينية في الدولة المرينية، وفي عهد السلطان أبي الحسن المريني على الخصوص، كانت من المظاهر الرئيسية التي كانت مارسها السلطة الحاكمة. وتبرز مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف على رأس هذه الاحتفالات. حيث كانت تترسخ وتتجذر مع كل سلطان جديد يتولى الحكم، وذلك من خلال زيادة الاعتناء بالاحتفال بها بإصدار المراسيم المتعلقة بطبيعة ممارستها.
- إن أهم ما أضاف السلطان أبو الحسن المريني لهذه الاحتفالية هو إحياؤها في كل الظروف سواء في حالة السلم أو الحرب. وإلزام كل طبقات المجتمع وخاصة منهم الشرفاء والقضاة والفقهاء والخطباء، ومعاقبة المتخلفين عن حضورها.
- استمرار الاعتناء بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف بعد السلطان أبي الحسن المريني، فقد زادها في محاسنها أو عنان المريني، وكساها جمالاً أبو سالم، وزادها أبهة وجلالاً أبو فارس.
- كانت مظاهر هذا الاحتفال الذي يستمر حتى صلاة الصبح، من إعداد الأطعمة والحلويات والعطور والبخور، والعناية بمظاهر الزينة في المجالس، وإقامة صلوات الفرض والسنة، وقراءة القرآن الكريم وإلقاء قصائد المدح، وتوزع الشموع والبخور على الفقراء والمساكين، تدخل السرور في نفوس الناس.

الهَوامِشُ:

(١) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص.١٥.

(٢) نفس المصدر، ص.١٩.

(٣) محمد بن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ١٩٠٨، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ص.١٨٧.

(٤) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، ص.٢٤.

(٥) أحمد بن محمد المقري التلمساني، ١٩٦٨، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق، إحسان عباس، المجلد الخامس، بيروت، دار صادر، ص.٤٠٨.

(٦) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، صص.٢٣-٣٠.

(٧) نفس المصدر، ص. ٣٢.

(٨) نفس المصدر، ص. ٩٢.

(٩) أحمد بن خالد الناصري، ١٩٩٧، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج.٣، الدار البيضاء، دار الكتاب، ص.١١٨.

(١٠) أحمد بن خالد الناصري، ١٩٩٧، ج.٣، ص.١٢٢.

(١١) محمد بن عبد الله التنسي،٢٠١١، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تحقيق محمود بوعياد، الجزائر، موفم للنشر، ص.١٤٦.

(١٢) يحيى بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، المجلد الأول، الجزائر، مطبعة بيير فونتانة، ص.١٤٣.

(13) Wenceslao Sagura Gonzalez, «La batalla del Salado(ano 1340)», 2005, Al Qantir, Monografias y documentos sobre la historia de Tarifa, No 3, p.4.

(١٤) عبد الرحمن بن خلدون، ٢٠٠٠، **تاريخ ابن خلدون**، ج.٧، مراجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ص.٣٤٦.

(١٥) أحمد بن خالد الناصري، ١٩٩٧، ج.٣، ص.١٣٥.

(١٦) نفس المصدر، ج.٣، ص.١٣٦.

(١٧) نفس المصدر، ج.٣، صص.١٣٦-١٣٧.

(١٨) وصف الناصري، هذه الواقعة بقوله: «وكان عسكر السلطان أبي الحسن يومئذ مشحونًا بأعدائه من بني عبد الواد المغلوبين على ملكهم، ومغراوة، وبني توجين، وغيرهم. فسدوا إلى العرب هذه المناوشة، بأن يناحروا السلطان غدا حتى يتحيزوا إليهم ويجروا عليه الهزيمة، فأجابوهم إلى ذلك، وصبحوا معسكر السلطان من الغد، فركب الهم في التبعية. ولما تقابلوا تحيز إليهم الكثير من كان معه، وانهزم هزيمة شنعاء» نفس المصدر، ج.٣، ص.١٦٠.

(١٩) تقع أسوار شالة على الضفة اليسرى لوادي أبي الرقراق إلى الجنوب من أسوار مدينة الرباط، اختارها السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق لتكون مقبرة لهم.

(٢٠) أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، ١٩٦٢، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، الرباط، المطبعة الملكية، ص.٢٣.

(٢١) محمد بن أحمد بن جبير، **رحلة بن جبير**، دار صادر بيرت، دون تاريخ، ص.٩٢.

(٢٢) مدينة في العراق تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل.

(٢٣) هو مظفر الدين أبو سعيد بن زين الدين علي بن بكتكين بن محمد، المشهور بلقب كوكبري، وهي كلمة تركية معناها الذئب الأزرق، اشتهر بهذا اللقب لشجاعته وإقدامه. حكم أربل في عهد صلاح الدين، وكان صهره، دخل في طاعته دون حرب. لقد حكم ولاية أربل في سنة (٥٨٦/١١٩٠م)، استمر حكمه لها لمدة نصف قرن، حتى وفاته في سنة (٦٣٠/١٢٣٢م).

(٢٤) هو أبو الخطَّاب عُمر بن حَسن بن علي بن محمد ابن دِحية بن خليفة الكَلْبِيُّ الدَّانيُّ السَّبْتيُّ، ويُلقَّب بـ "ذي النَّسَبَيْنِ" أي من جهة الأب والأم، بين دحية. كان من أعيان العلماء، متقنا للحديث النبوي، عارفا بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها، رحل لطلب العلم فزار مختلف بلدان العالم الإسلامي. ولد في سنة ٥٤٤هـ. نشأ في دانية بالأندلس ثم انتقل مع أبيه إلى سبتة، ثم باشر في رحلات لطلب العلم، شملت مدن عديدة في العالم الإسلامي، فزار الأندلس، ومراكش، تلمسان، إفريقية، مصر، الشام، العراق، خراسان، شيراز، جرجان، ثم عاد إلى مصر حيث قضى بها بقية حياته حتى وفاته سنة ٦٣٣هـ. للتوسع في سيرته انظر: ابن خلكان، ١٩٧٢، **وفيات الأعيان**، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، المجلد الثالث، بيروت، دار صادر، ص. ٤٤٨- ٤٥٠.

(٢٥) نفس المصدر، مجلد ٣، ص.٤٥٠.

(٢٦) محمد المنوني، ٢٠٠٠، **ورقات عن حضارة المرينيين**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، طبعة: ٣، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص.٥١٨.

(٢٧) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، ص.١٥٢.

(٢٨) هو أبو العباس أحمد بن القاضي محمد اللخمي العزفي السبتي كان يعرف بابن أبي عزفة، ولد بسبتة سنة ٥٥٧هـ، هو أول مَنْ ندب إلى الاحتفال بالمولد النبوي، تولى التدريس بجامع سبتة، وكذلك القضاء في عهد الدولة الموحدية، ألف سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٥٦م) "كتاب الدار المنظم في مولد النبي المعظم"، وضعه لما رأى المسلمين يعظمون أعياد النصارى وعوائدهم، وأكمله بعده ابنه أبو القاسم. ومنها كتاب "دعامة اليقين في زعامة المتقين" وهو مطبوع، و"منهاج الرسوخ على علم الناسخ والمنسوخ"، وغيرها من المؤلفات، وبقي على هذه الحال بين التدريس والتأليف إلى أن توفي في ١٧ من شهر رمضان عام (٦٣٣هـ)، وخلفه من بعده ابنه أبو القاسم.

(٢٩) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، ص.١٥٢.

(٣٠) نفس المصدر، ص.١٥٢.

(٣١) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، ص.١٥٣.

(٣٢) وهي فرقة المداحين أو المنشدين الذين يتولون بترديد قصائد المدح النبوي ليلة المولد النبوي.

(٣٣) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، ص.١٥٣.

(٣٤) كان قاضي الجماعة في فاس في عهد السلطان أبي حسن المريني، كان يتولى التدريس، ومن أشهر تلامذته أبو عبد الله الفاسي الفشتالي، الذي علمه "جامع الترمذي" أصبح قاضيًا للجماعة في عهد السلطان أبو عنان المريني، الذي عينه في هذا المنصب في سنة ٧٥٢هـ الموافق لسنة ١٣٥١م، خلفًا لشيخه ابن عبد الرزاق، توفي الفقيه القاضي سنة ٧٥٨هـ الموافق لسنة ١٣٥٨م. كان أحد شيوخ عبد الرحمن بن خلدون، الذي يذكر عنه: «ومنهم شيخنا المعمّر الرحالة أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق شيخ وقته جلالة وتربية وعلما وخبرة بأهل بلده، وعظمة فيهم. نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها، وارتحل إلى تونس فلقي القاضي أبا إسحاق بن عبد الرفيع، والقاضي أبا عبد الله النفزاويّ. وأهل طبقتهما، وأخذ عنهم وتفقّه عليهم، ورجع إلى المغرب ولازم سنن الأكابر والمشايخ إلى أن ولّاه السلطان أبو الحسن القضاء بمدينة فاس، فأقام على ذلك إلى أن جاء السلطان أبو عنان من تلمسان بعد واقعة القيروان، وخلعه أباه فعزله بالفقيه أبي عبد الله المغربي، وأقام عطلا في بيته». عبد الرحمن بن خلدون، ٢٠٠٠، ج.٧، ص.٥٣٨.

(٣٥) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، ص.١٥٣.

(٣٦) نفس المصدر، ص.١٥٣.

(٣٧) نفس المصدر، ص.١٥٣.

(٣٨) نفس المصدر، ص.١٥٣.

(٣٩) نفس المصد، ص.١٥٣.

(٤٠) نفس المصدر، ص.١٥٣.

(٤١) نفس المصدر، ص.١٥٣.

(٤٢) نفس المصدر، ص.١٥٣.

(٤٣) نفس المصدر، ص.١٥٤.

(٤٤) نفس المصدر، ص.١٥٤.

(٤٥) نفس المصدر، ص.١٥٤.

(٤٦) نفس المصدر، ص.١٥٤.

(٤٧) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، ص.١٥٤.

(٤٨) نفس المصدر، ص.٢٦٠.

(٤٩) **ابن بطوطة** (محمد بن عبد الله)، ١٩٨٧، رحلة ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار عجائب الأسفار**، قدم له وحققه: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، راجعه وأعد فهارسه: الأستاذ مصطفى القصاص، بيروت، دار صادر، ج. ٢، ص.٦٦٧.

(٥٠) هم: أبو عمر عثمان، عبد الواحد التنالفتي، أبو حسون زيان بن أمريون العلوي، أبو زكرياء يحيى بن سليمان العسكري، والحاج أبو الحسن النامسي. **ابن بطوطة** (محمد بن عبد الله)، ١٩٨٧، ج.٢، ص.٦٦٧.

(٥١) محمد بن مرزوق التلمساني، ١٩٨١، ص.١٥٣.